يطلق مصطلح (اللغات الساميَّة) على لغات الأسرة التي تنتمي إلى الفصيلة السامية الحامية؛ طبقاً لتقسيم علماء اللغة للفصائل اللغوية في العالم. وأول من اطلق اسم (اللغات السامية Semetic Languages) على هذه الأسرة؛ هو اللغوي الألماني شلوتسر Schlzer. وذلك في أواخر القرن الثامن عشر الميلادي سنة 1781م.[1]

وقد استقى هذه التسمية من جدول تقسيم الشعوب؛ الموجود في العهد القديم.[2] حيث تنسب هذه اللغات إلى سام بن نوح عليه السلام.

وتضم هذه الأسرة اللغوية لغات الشعوب التي تسكن الآن وسكنت قديماً، شبه الجزيرة العربية، واليمن، والحبشة، وبلاد الشام، والعراق.

أقسامها:

وقد قسم العلماء هذه اللغات إلى قسمين رئيسين هما:

القسم الغربي:

وينقسم بدوره إلى قسمين أخرين؛ هما:

القسم الجنوبي الغربي، الذي يضم اللغة العربية، والمعينية، والسبئية، والحميرية، والحبشية؛ التي تضم اللغة الجعزية، والأمهرية.

أما القسم الشمالي الغربي فيضم اللغة الكنعانية والآرامية ولكل منها أقسام. فاللغة الكنعانية تنقسم إلى قسمين؛ شمالي، ويضم اللغة الأوجاريتية، وجنوبي، ويضم اللغة العبرية، والفينيقية واللغة الآرامية تضم اللغة المنداعية، والسريانية.[3] وقد كانت اللغة المصرية القديمة (الهيروغليفية) من اللغات السامية، ولكنها ((انفصلت في زمن مبكر جداً، وسارت منذ آلاف السنين في طريقها الخاص))[4]. ويرى أحد الباحثين أن القدماء المصريين كانوا يستعملون اللغة الأكادية في علاقاتهم الخارجية مع دول المنطقة الممتدة بين الفرات والبحر المتوسط.[5]

ومن الباحثين في علاقة المصرية القديمة باللغات السامية:

د. أحمد بدوي.

د. رمسيس جرجس.

د. عبد المنعم الكاروري.

وقد رأوا أن هناك أوجه تشابه كثيرة بين المصرية واللغات السامية في الضمائر والأفعال وبعض الأسماء.[6]

أقرب اللغات السامية إلى اللغة الأم:

اختلف العلماء في أصل اللغات السامية وأقدم لغة سامية وأقربها إلى اللغة الأم المفقودة؛ ولهم في ذلك اربعة أقوال هي:

1- العربية هي أقدم لغة.

2- العبرية هي أقدم لغة.

3- الآشورية هي أقدم لغة.

4- البابلية هي أقدم لغة.[7]

ورغم أن علماء اللغة العرب لم يفطنوا إلي اللغات السامية إلا قليل منهم، إلا أن منهم من حكم بأن اللغة السريانية هي الأقدم والأقرب إلى اللغة الأم.[8] ولعل اللغة العربية هي اللغة الأقدم والأقرب للغة السامية الأم، لما فيها من ثروة لفظية عظيمة، ودلالات مختلفة للفظ الواحد؛ كالترادف، والتضاد، والمشترك اللفظي، وتصاريف الفعل الزمنية، وكثرة استخدام الضمائر وأنواعها، ووجود ظاهرة المثنى فيها وحدها، ووجود الإعراب، واحتفاظها بكثير من الأصوات غير الموجودة في أخواتها الساميات؛ كالثاء والذال والظاء والغين والخاء والضاد.[9]

ومع ذلك لم يستطع اللغويون المحدثون التخمين بشأن اللغة السامية الأم، على أي صورة كانت وما ألفاظها الأساسية وكيفية تكوين كلماتها وتركيب جملها؟

موطن الساميين الأول:

كما اختلف العلماء في أصل اللغة السامية، وأقدم لغة وأقربها إلى اللغة السامية الأم، فقد اختلفوا في الموطن الأول للساميين:

وذلك على ستة آراء هي:

1- جنوب غرب شبة الجزيرة العربية (اليمن)، وقد قال بذلك رينان Rinann وكارل بروكلمان K. Brok elemann وفلبي Feleppi.[10]

2- ضفاف الفرات ودجلة (بين العراق وأرمينيا)، وممن قال بذلك فون كريمر Von Kremer وهومل Hommel [11] وجويدى Guidi.
3- بلاد الحبشة وقال به بلكريف Belkrif [12].
4- شمال أفريقيا، وقال به جيرلند Gerland [13].
5- سوريا وأرض كنعان، وقال به جون بيترس John Beatres [14].
6- الحجاز ونجد، وقال بذلك شبرنجر A. Sprenger [15].

ويلاحظ أن تحديد الموطن الأول للساميين يعتمد على مناطق طرد السكان ومناطق جذبهم؛ في هجراتهم التي يتنقلون خلالها من مكان إلى آخر. ولذلك يرى بعض العلماء أن الحجاز ونجد يعدان مناطق طرد للسكان إلى اليمن جنوباً؛ والعراق والشام وأرمينيا شمالاً، وشمال أفريقيا غرباً. ولذلك يرجحون أنه هو الموطن الاول للساميين ثم تفرقوا في المناطق المذكورة واختلفت لغاتهم.[16]

تدوين اللغات السامية:

تعد الكتابة أمراً مهماً، وذلك لحفظ اللغة في مراحلها المختلفة. وهناك خلافات كثيرة بين اللغة المنطوقة (Spoken Language) [17] واللغة المكتوبة (Wtiten Language). وقد دونت كل اللغات السامية قديماً؛ فيما عُثر عليه مكتوباً على المعابد والقبور والأحجار. وعُرفت تلك الكتابة باسم النقوش؛ وأكثر هذه النقوش نبطي وعربي وسبئي.[18]

وقد استخدم البابليون والآشوريون الخط المسماري؛ الذي وضعه السومريون قبلهم، ووجد هذا الخط في النقش الفينيقي؛ الذي يرجع إلى القرن العاشر قبل الميلاد.[19] أما نقش ملك مؤاب؛ الذي يرجع إلى القرن التاسع قبل الميلاد، فهو أول ما وصل إلينا من اللغة الكنعانية.[20]

أما العبرية فأقدم ما وصل إلينا هو قصيدة دبورة، الموجودة في العهد القديم[21]، هي ترجع إلى القرن الثاني قبل الميلاد، وأقدم مصدر للخط العبري هو نقش السلوان[22].

وأقدم نص وصل من اللغة الآرامية هو نقوش أمراء سمأل، في تل زنجيرلي[23] أما اللغة العربية فإن أقدم ما وصل إلينا منها هو نقش النمارة، الذي يرجع إلى القرن الرابع قبل الميلاد (328 ق. م).[24]

وقد اختلف العلماء في أصل الخط السامي القديم، على أقوال منها:

- أرجعه دي روجيه De Rouge إلى أن الخط الهيروغليفي، لكن ليس هناك وجه شبه بينهما.

- أرجعه ديكته Deecke إلى الخط المسماري السامي الشرقي، المشتق من الآشوري الحديث؛ ويرى كارل بروكلمان خطأ ذلك من الناحية التاريخية.

- أرجعه ديلتسن Delitzsch إلى المصادر الحيثية في شمال سورية وآسيا الصغرى، التي يرجع أيضاً إلى الخط الهيروغليفي. وقد رفض بروكلمان هذا الرأي أيضاً؛ لقلة أوجته الشبه بين الخط الحيثي والسامي.

- أرجعه إيفانز Evans إلى الهيروغليفية، ولكن ليس عنده دليل.[25]

ومع ذلك فليس هناك دليل على أصل هذا الخط السامي القديم. وبعد الخط الحبشي هو الوحيد بين الخطوط السامية الأخرى؛ الذي لا تكتب فيه الحركات القصيرة بل إن الفونيمات فيه مقطعية؛ تحمل حركاتها فيها.[26]

كما أنه ليس هناك فونيمات خاصة بالحركات القصيرة فيها؛ بل هي رموز فوق الفونيمات الصوامت؛ أو تحتها.

وتعد اللغة العربية أحدث لغة دونها أهلها، وأقدم نص مكتوب فيها هو القرآن الكريم. وعلى ذلك فإن أقدم خط سامي هو الخط المسماري، وأحدث خط هو الخط العربي المستخدم الآن في اللغة العربية؛ مع زيادة رموز الحركات القصيرة والطويلة؛ كتابياً فقط لا نطقاً.

وقد اتخذت كل لغة مختلفاً عن غيرها[27]. ونمثل لذلك بفونيم الهمزة فيها. ففي العربية (أ)، وفي العبرية ( )، وفي السريانية ( )، وفي الحبشية ( ) وإلا أن هناك بعض أوجه التتشابه بينها.

خصائص اللغات السامية:

من خلال قراءة النقوش العربية القديمة، والاطلاع على ما دُون من تلك اللغات السامية الأخرى؛ كالسريانية والحبشية والعبرية، من خلال العهد القديم (التوراة)، العهد الجديد (الإنجيل)؛ استطاع العلماء أن يستنتجوا

بعض أوجه الشبه بين تلك اللغات كلها، وهي مجموعة خصائص تشترك فيهـا هـذه اللغـات؛ على المسـتويات اللغوية الأربعة، صوتاً، وبنية، وتركيباً، ودلالة.

الخصائص الصوتية: PHONATIC ASPECTES

تتميز اللغات السامية؛ من الناحية الصوتية بما يلي:

- كثرة الأصوات الصامتة Consonants مقارنة بالصوائت Vowels
- وجود صوت الضاد: وبالتحديد في العربية والحبشية: أما في السريانية فقد تحول إلى عين (<) .[28] وفي العبرية تحول إلى صوت مزدوج ينطق مثل صوتي التاء الساكنة مع الصاد ()، [29] وهو يشبه الصوت الألماني ( ).
- وجود مجموعة من الأصوات الطبقية؛ مثل (ث - خ - غ).
- وجود مجموعة من الأصوات اللثوية الأسنانية، مثل (ث - ذ - ظ)
- وجود صوت لهوي وحيد، هو القاف (ق).[30]

الخصائص الصرفية: MORFOLOGY ASPECTES

تتميز اللغات السامية ببعض الخصائص الصرفية: على مستوى الكلمة المفردة وطريقة بنائها كما يلي:

- لا تبدأ الكلمة فيها بصوت صامت ساكن (غير متحرك)، أما في اللغات الهندوأوربية فيجوز ذلك، مثل Play (يلعب) حيث الباء (P) صوت صامت ساكن وإذا حدث وجاءت كلمة أولها صامت ساكن؛ فإنه يجتلب لها همزة وصل وذلك كما في الأفعال الخماسية والسداسية ومصادرها؛ في اللغة العربية. [31]
- لا تبدأ الكلمة فيها بصوت صائت (حركة).
- معظم كلماتها ثلاثية الجذور Roots، أي ثلاثية الأصل.[32]
- تعبر عن تصريفات الحدث بالاشتقاق الداخلي Inside Itemology وليس عن طريق اللواصق Preffix، [33] واللواحق Saffixe.

ونمثل لذلك بالجذر (علم)؛ حيث يشتق منه:

(يعلم - اعلم - عالم - عليم - عَلَم - عَلِمَ - عِلْم - عالَم - عالمين... إلخ). ويعتمد هذا الاشتقاق الداخلي على الحركات (الصوائت).

- يؤنث الاسم والصفة بإضافة تاء التأنيث غالباً.[34]
- لا تستخدم النحت في كلماتها؛ إلا قليلاً جداً.
- توجد بها بعض الكلمات أحادية الجذور الثنائية: مثل أسماء الأقارب، وأعضاء الجسم (أب - حم - أخ - يد - دم). [35]
- توجد بها بعض الكلمات أحادية الجذور، بصورة قليلة جداً، مثل (فو - ذو).[36]
- ليس للفعل فيها إلا زمنان رئيسان: ماض وحالي (مضارع).[37]

الخصائص النحوية: Sgntatic Aspectes

تتميز اللغات السامية، على المستوى التركيبي ببعض الخصائص، منها:

- قصر الجمل: حيث تتكون الجملة من ركنين أساسيين غالباً، هما الفعل والفاعل في الجملة الفعلية، والمبتدأ أو الخبر في الجملة الأسمية.
- ظاهرة توازي الجمل، أي تشابه الجمل في تركيبتها.
- ربط الجمل بالعطف عن طريق الواو كثيراً، مع وجود أدوات أخرى للعطف.[38]
- وجود الجملة الفعلية كثيراً.
- وجود الإعراب للتفريق بينن المواقع الوظيفية المختلفة للكلمة داخل الجملة.[39]

الخصائص الدلالية: Semantic Aspectes

توجد في اللغات السامية بعض المميزات الدلالية، ومنها:

- التشابه في بعض الألفاظ الدالة على أعضاء جسم الإنسان مثل: (عين - يد - أذن - فم).
- التشابه في بعض ألفاظ القرابة، مثل: (أب - أم - عم - أخ - ابن - حم).

• التشابه في ألفاظ بعض الحيوانات، مثل:
(أسد - ثور - كلب - حمار).

• التشابه في بعض ألفاظ أسماء الظواهر الطبيعية، مثل:
(شمس - نور - سماء - أرض - ماء).
• التشابه في ألفاظ الأعداد.
• التشابه في ألفاظ الضمائر الشخصية.
• ندرة الألفاظ المركبة، وشيوع الألفاظ المفردة.
• التشابه في الألفاظ الدالة على ضروريات الحياة البدائية: كالطعام والشراب والمأوى والملبس.[40]

• استخدام المعاني المجازية؛ عن طريق الاستعارة والكناية: مما ينتج عنه التضاد[41] Antonymy [42] والمشترك اللفظي Hyponymy [43][44]والترادف Synonymy.

ويلاحظ أن كثيراً من اللغوين الذين تناولوا هذه الخصائص: لم يصنفونها في تقسيماتها اللغوية السابقة، سوى د. محمود فهمي حجازي في كتابه علم اللغة العربية _ بل أوردوها هكذا مجتمعة: دون تقسيم.

وتلك الخصائص تعين على فهم كثير من الظواهر اللغوية؛ في أية لغة من هذه الأسرة، بحيث تدرس الظاهرة الواحدة: في لغة ما، في ضوء المنهج المقارن Cem-Parative method، بالنظر إلى اللغات المشتركة معها في تلك الأسرة.
الباحثون في الساميات:
اهتم بالبحث في الدراسات اللغوية المقارنة، وبخاصة في مجال اللغات السامية علماء كثيرون كان أسبقهم المستشرقون، ثم تلاهم العرب.

فمن العلماء الغربيين المستشرقين نجد:
1- إسرائيل ولفنسون E. Welfenso
2- آرنست وينان Renan A.
3- إدوارد ألندورن E. Ullendrof
4- أنطوان شبتيالر A. Spitallar
5 - أنطوان ماييه A. Meill
6- بارت Barth
7- برجشتر اسر Bergegsterrasur
8- تيودور نولدكه Th. Noldeke
9- دي لاكي أوليري De lacy o`leary
10- زيميرون Zimmern
11- فولفرام فون سودن W. Von Soden
12- كارل بروكلمان C. Broelmann
13- لاجارد Laggard
14- موسكاتى S. Moscati
15- وليم رايت W.Wright

ومن الباحثين العرب نجد:
1- د. إبراهيم السامرائي.
2- بحر عبد المجيد.
3- د. حسن ظاظا.
4- خليل نامي.
5- د. ربحي كمال.
6- د. رمضان عبد التواب.
7- د. عبد المجيد عابدين.
8- د. على عبد المجيد وافي.
9- د. عوني عبد الرؤوف.
10- د. محمود فهمى حجازي.
11- د. مراد كامل.
12- مرمرجي الدومينيكي.
ويعد بروكلمان ونولدكه وبرجشتراسر وولفنسون أكثر المستشرقين بحثاً في الساميات أما ولفنسون فقد كتب في تاريخ هذه اللغات أكثر من أوجه مقارنتها.

أما العلماء العرب فأبرزهم د. حسن ظاظا، ومنهجه تاريخي أكثر منه لغوي، و د. محمود فهمى و د. رمضان عبد التواب. ومنهجهما لغوي مقارن.